

التمهيد

التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين القرن ١٠-١٢هـ / ١٦-١٨م

عليان الجالودي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، جامعة آل البيت، الأردن

omaniunit 2009@yahoo.com

"إن الله -وله المنة- قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف، بل ربما كان من أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة..."^(١)

(ياووز) على دولة المماليك في مرج دابق سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٦م، ونهايتها بظهور الدول المستقلة بعد الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٤٥م.^(٢)

إن هذه التقسيمات تستند أساساً على التقسيمات الغربية المرتكزة أساساً على طبيعة التاريخ الأوروبي، وتستند على فرضية أن التاريخ يرتكز على تاريخ أوروبا، وأن تاريخ أوروبا هو تاريخ العالم.^(٣) لذا من المهم أن نعيد النظر في هذا التحقيب، متحررين من سطوة المركزية الأوروبية، استناداً إلى الأحداث الكبرى التي حفل بها التاريخ العربي الإسلامي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ولعل مجمل الأحداث التي حصلت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر تشعر بأن العالمين العربي والإسلامي يشهدان أحداثاً جساماً؛ فمن الناحية السياسية هيمنت على العالم الإسلامي أربع إمبراطوريات كبرى: الإمبراطورية العثمانية (١٣٤٣/٦٩٨هـ - ١٩٢٤/١٢٩٨م) التي نشأت في القرن الثالث عشر الميلادي، واستطاعت أن تتحول من إمارة تخوم وغزاة على حدود الإمبراطورية البيزنطية إلى دولة عظمى امتدت رقعة سيطرتها مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي على ثلاث قارات (آسيا وأوروبا وإفريقيا)، بما فيها الوطن العربي؛ قلب العالم الإسلامي النابض. وإلى جانبها وجدت الإمبراطورية الصفوية (٩٠٦/١١٩٩هـ - ١٧٨٤/١٥٠٠م) ذات المذهب الشيعي الاثني عشري في إيران وأجزاء من العراق، والإمبراطورية المغولية في شبه القارة

تركزت جهود الباحثين والمفكرين على القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بوصفهما يمثلان علامة فارقة في تاريخ العالمين العربي والإسلامي؛ ففيهما كانت انطلاقة حركة الإصلاح والتجديد، وحركة اليقظة الفكرية، أما القرون الثلاثة السابقة ما بين القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر، فالسمة العامة لها - على ما يقولون - هي الانحطاط والجمود والعقم الفكري، ويربطون ذلك بدخول البلاد العربية في حوزة الدولة العثمانية إثر معركة مرج دابق سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٦م.

وينطلق كثير من دارسي التاريخ العربي والإسلامي الحديث، من النظر إلى الحملة الأوروبية الأولى التي غزت العالم العربي، والمعروفة بالحملة الفرنسية (١٢١٢- ١٢١٦هـ / ١٧٩٨-١٨٠١م)، على أنها مفتاح الحركة النهضة والإصلاحية. وثمة مشكلة أخرى منهجية في فهم دارسي هذه القرون ودارسي التاريخ العربي الإسلامي، فقد درج أولئك على اعتماد نمطية التحقيب الغربي مدخلاً لدراسة التاريخ العربي الإسلامي؛ إذ عدّوا فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م مفتتحاً للعصور التاريخية الحديثة، واندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ خاتمة لها، ومنهم من يحصرها بالقرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى نهاية الحرب الكونية الأولى عام ١٩١٨م، وتوسعت بعض الكتابات فأدرجت الحقبة الاستعمارية وألحقها بالحكم العثماني، ورأت بدايتها في انتصار السلطان العثماني سليم الأول

دورها بدأ يضعف ويتراجع ابتداء من القرن الثامن عشر. وفي القرن التاسع عشر بدأ التغلغل الأوروبي اقتصادياً وثقافياً ثم سياسياً وعسكرياً باتجاه العالم الإسلامي، وتحولت الهيمنة الغربية من مجرد حقوق وامتيازات تجارية، ومعاملات دبلوماسية في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٣هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) وفرنسا الأولى ملك فرنسا (١٥٣٥م) إلى نفوذ سياسي وهيمنة اقتصادية وضغط عسكري، قبل أن يستفحل التخلف السياسي والاقتصادي والعسكري في الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض)، وتصبح محل نزاع بين الدول الأوروبية، والاستيلاء عليها وعلى ولايتها العربية (المسألة الشرقية)؛ فاحتلت فرنسا الجزائر (١٨٣٠م) وتونس (١٨٨١م)، ومراكش (١٩١٢م)، وفرضت انتدابها على سوريا ولبنان (١٩٢٠م)؛ واحتلت إيطاليا ليبيا (١٩١١م)؛ واحتلت بريطانيا العراق (١٩٢٠م)، وقد سبق ذلك احتلال مصر (١٨٨٢م) والسودان (١٨٩٨)، ناهيك عن أنها مدت نفوذها في الخليج والجنوب العربي من خلال سلسلة من معاهدات الحماية، واحتلت عدن (١٨٣٠م)، وبذلك تكون الدول الاستعمارية قد أطبقت هيمنتها على كل البلاد العربية تقريباً، وفقدت المجتمعات العربية وحدتها، وتكرست تجزئتها السياسية، وتأخرها الاقتصادي والاجتماعي.^(٦)

وكان خطر التهديد الأوروبي، وراء محاولات التحديث التي انتهجتها الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر؛ بدءاً بإصلاح الجيش والتعليم إلى تحديث الإدارة والقوانين، ثم في مصر زمن محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م)، وفي المغرب منذ أواسط القرن التاسع عشر.

وترتبط فترة الدراسة (١٦-١٨م) بمحدثين مفصلين في العالم الإسلامي، أولهما: سقوط غرناطة، وإنهاء الوجود العربي الإسلامي في الأندلس عام ١٤٩٢م، وثانيهما: بداية الغزو الأجنبي المباشر التي تمثل بحملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام سنة ١٧٩٨م، وتخللت هذه المرحلة أحداث بارزة في الوطن العربي والعالم الإسلامي، تمثلت

الهندية، وإمبراطورية الأوزبك في آسيا الوسطى وتركستان. وشهدت هذه القرون تحولات خطيرة في موازين القوى العالمية، تحددت معالمها بصراع دولي بين قوة العثمانيين المتصاعدة، واندفاع الأوروبيين نحو أقاليم ما وراء البحار، بما أطلق عليه حركة الكشوفات الجغرافية، ومحاولات الأوروبيين اكتشاف طرق تجارية جديدة توصلهم إلى شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا. وإثر إنهاء الوجود العربي الإسلامي في الأندلس سنة ١٤٩٢هـ/١٤٩٢م، تعرضت السواحل المغربية لخطر التوسع الإيبيري (الإسباني والبرتغالي)، يغريهم بذلك ضعف الكيانات الإقليمية في الشمال الإفريقي، بني مرّين والزّيارين والحفصيين، وتبني الغرب سياسة توسعية صليبية تقوم على فكرة الاسترداد الكاثوليكي، واحتياح المد البرتغالي سواحل المغرب الأقصى، ثم سواحل الجزيرة العربية، وشبه القارة الهندية إثر اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح، وحتى ظهور العثمانيين وبسط سيطرتهم على البلاد العربية من حدود الجزائر غرباً إلى تخوم العراق شرقاً،^(٤) في حين احتفظ المغرب الأقصى (مراكش) باستقلاله تحت حكم السعديين ثم الأسرة العلوية، ثم وقف المد البرتغالي على حساب السواحل المغربية إثر معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨هـ/١٥٧٨م.

وترتب على هذا التغلغل البرتغالي، ثم لاحقاً الهولندي والإنجليزي والفرنسي ظهور القوى الأوروبية في البحار الشرقية، وسيطرة الغرب على الطرق التجارية الدولية بين الهند وأوروبا، وفقدان العرب دورهم التاريخي فيها، وتراجع الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية والإسلامية، والعودة إلى اقتصاد الكفاف، وشيوع ظاهرة الإقطاع العسكري كظاهرة عامة، وظهور نظام الالتزام الذي يعطى غالباً للعسكريين والزعامات المحلية، ويورث مدى الحياة. وفي البلاد العربية -على الأقل- انتقلت العاصمة خارج حدود الوطن العربي، وصار مركز الحكم خارجها لأول مرة، وغدت اللغة التركية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية.^(٥)

وتصدت الدولة العثمانية للغرب، وحالت بينه وبين التوسع في البلاد العربية، وكانت مصدر تهديد له، غير أن

سادت العلوم النقليّة في هذا الشطر نشطت علوم العقل في شطر آخر. وثمة سبب آخر لهذه النظرة المضللة، وهو أننا نجتزئ هذه القرون ونحكم عليها من خلال واقع النهضة التي اتسم بها القرن التاسع عشر والقرن العشرون، لا من خلال الربط الموضوعي بينها وبين ما سبقها من قرون، فهي تُعدّ امتداداً لما سبقها من حيث جوهر النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فالحراك العلمي والأفكار والنظم والمؤسسات امتداد لما سبق، ومن المهم أن تقرأ قراءة معمقة من الداخل لإدراك مدى التطورات التي طرأت عليها.

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن أحكامنا وتعميماتنا التي نطلقها، هي إعادة إنتاج لأحكام أصدرها العلماء الغربيون ودارسو التاريخ والحضارة الإسلامية من المستشرقين، الذين أنتجوا دراساتهم عن العالم الإسلامي وتطورات الفكرية ضمن سياق المركزية الأوروبية، التي لا ترى الحضارة والتقدم الحضاري إلا من خلال الحضارة الأوروبية، ناهيك عن ارتباط كثير من الدوائر الاستشراقية بأهداف ودوافع استعمارية، جاءت مترافقة مع الحملة الاستعمارية الشرسة التي شنّها الغرب على العالم الإسلامي منذ أواخر القرن الثامن عشر وما تلاه، وهي -إلا ما ندر- جاءت في خدمة الدوائر الاستعمارية والتأسيس للوجود الاستعماري.

ونضيف سبباً موضوعياً آخر لا يقل أهمية عما سبق، وهو أن صدور هذه الأحكام المضللة، مقترن بضعف الاطلاع على الإنتاج العلمي والفكري لعلماء القرون -موضوع الدراسة- من الدارسين المحدثين؛ إذ إن جل الإنتاج العلمي في هذه القرون لا يزال مخطوطاً، وحبس دور الكتب والمخطوطات في مكتبات العالم. ولعل نظرة لفهارس دور الكتب والمخطوطات في مكتبات العالم العربي وتركيا والهند وجنوب شرق آسيا وروسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا تكشف عن حقيقة أنّ جلّ هذا التراث لا يزال مخطوطاً لم يتيسر الاطلاع عليه ونشره بعد، ومن ثمّ تفحصه وبناء أحكام علمية ومنهجية عليه.

ومن هنا تكمن أهمية هذا المشروع البحثي التوثيقي، الذي اضطلع المعهد العالمي للفكر الإسلامي للنهوض به، من خلال مراجعة الجهود الفكرية والنهضوية في العالم

في سقوط القسطنطينية على يد القوة العثمانية الإسلامية الناشئة، ثم سقوط السلطنة المملوكية التي تحكم مصر وبلاد الشام عام ١٥١٧م، وتزامن الصعود العثماني مع قيام ثلاث إمبراطوريات مسلمة؛ الدولة الصفوية في إيران، وإمبراطورية المغول في الهند، والأوزبك في تركستان (آسيا الوسطى).

والحدث الأبرز في أواخر القرن الثامن عشر، الذي أشرنا له سابقاً، هو الحملة الفرنسية التي قادها نابليون على مصر وبلاد الشام، التي لا يمكن فهم دوافعها خارج إطار التنافس الاستعماري بين الدولتين الاستعماريّتين آنذاك؛ بريطانيا وفرنسا. وجئنا على مصر موقعها على طرق مواصلات بريطانيا إلى الهند، وضعف دفاع الدولة العثمانية عنها، بعد أن وصلت آنذاك إلى أقصى درجات ضعفها.

وتفاوتت تقديرات المؤرخين من العرب وغيرهم، لمجمل آثار الحملة الفرنسية في مطلع القرن التاسع عشر، وهو قرن الإصلاح والتجديد والتحديث في الدولة العثمانية والبلاد التي تدور في فلكها؛ فهناك من عدّ الحملة حدثاً مهماً تسبب في إيقاف الضمائر وتنبية العقول إلى البون الشاسع بين تقدّم الأوروبيين وتراجع المسلمين؛ ومنهم من عدّها سبباً مباشراً ليقظة العرب، فكانت -بحسب هذه الآراء- شعلة أشعلت الجمر المدفون تحت الرماد، وذهب بعضهم إلى أنها الحدث الجلل الذي غير مصير الشرق العربي، فأيقظته من سباته العميق، ونبهت المصريين والعرب إلى ما كان خافياً عليهم من الحقوق، وأسهمت في تنوير أذهانهم، فهي أول اتصال بين تقاليد الشرق، وحدثات الغرب.^(٧)

إن الأحكام المضللة التي تطلق على هذه القرون ووصفها بالانحطاط السياسي والجمود الفكري تعوزها الدقة، وهي أحكام تستند إلى تعميمات لا تستند بحال من الأحوال على تقصّد دقيق، ودراسة معمقة لتفاصيل التاريخ الفكري، والإحاطة بمجمل الإنتاج العلمي لعلماء الأمة عبر هذه القرون. وربما يعود ذلك بالدرجة الأولى إلى قصور مناهج الدارسين التي تقوم على دراسة جزئيات بعينها، أو أقطار بعينها، بعيداً عن النظرة الشمولية لمجمل العالم الإسلامي؛ إذ من الملاحظ أنه وإن خبا الإنتاج العلمي في شطرٍ ما من دار الإسلام، فإنه نهض في شطر آخر، وإذا

علي البرهان كفوري المكي (توفي ٩٧٥هـ)، والمؤرخ قطب الدين النهروالي (توفي ٩٩٠هـ).

وفي الدولة العثمانية شيخ الإسلام أبو السعود أفندي العمادي (توفي ٩٥٢هـ) صاحب التفسير، وشيخ الإسلام ابن كمال باشا (توفي ٩٤٠هـ). ويعد العلامة طاشكيري زاده (توفي ٩٦٨هـ) من أبرز العلماء المجددين في الدولة العثمانية، وهو أشبه ما يكون بابن خلدون العثمانيين، فقد اهتم بتسليط الضوء على موضوعات العلوم وأساليب وطرائق التدريس والمناهج الدراسية في مدارس الدولة العثمانية، والولايات التابعة لها، وعمل على بناء منظومة معرفية إسلامية تستند إلى الكتاب والسنة والممارسة الإسلامية، دون الوقوع في أسر تقليد المنقول اليوناني.

وتعد اليمن مركزاً لرواية الحديث وتدرسه، والاعتناء بالأسانيد في هذا القرن، ومن بين أبرز علمائها الشيخ طه بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل (توفي ٩٩٨هـ)، وحمد اليزدي الذي تولى منصب رئاسة العلماء وانتقلت مؤلفاته إلى إيران وشبه القارة الهندية، وتركت أثراً بعيد المدى على المناهج الدراسية وأسلوب التدريس هناك، وكانت حجر الأساس لظهور منهج التدريس النظامي -الذي استمر لقرون طويلة لاحقة- المنهج السائد في الأوساط العلمية والتعليمية في الهند.

وأنجبت إيران عدداً من العلماء الأعلام في هذا القرن برزوا في العلوم الحكيمة، من بينهم جلال الدين الدواني (توفي ٩١٨هـ)، وعماد بن محمود الطارمي (توفي ٩٤٨هـ)، والعلامة مير غياث منصور (توفي ٩٤٨هـ)، ونهضت مدينة هراة بحكم موقعها على تخوم إيران بدور بارز في العلوم العقلية، ومن بين أبرز علمائها في هذا القرن الشيخ مير محمد زاهد (توفي ١١٠١هـ/١٦٨٩م)، الذي كان لشروحه التي تعرف بالزواهد الثلاثة أثر كبير على الحياة العقلية في الهند.

وأنجبت الهند عدداً كبيراً من العلماء، من بينهم المحدث الشيخ رحمة الله بن عبد الله السندي الحنفي (توفي ٩٩٤هـ)، الذي استقر في الحجاز، والعلامة وجيه الدين ابن نصر الله الكجراتي (توفي ٩٩٨هـ) الذي برع في العلوم

الإسلامي، التي أثّرت بصورة فاعلة في واقع الحياة السياسية والفكرية والثقافية؛ إذ تعد إرهابات للنهضة الفكرية التي شهدتها العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومراجعة الجهود النهضوية من خلال أربعة محاور رئيسة، هي جهود العلماء والمفكرين، والكتب التي صنفت خلال القرون موضوع الدراسة، وتطور الأفكار، والحركات.

الحياة الفكرية في القرون ١٠-١٢هـ / ١٦-١٨م

من الصعوبة بمكان على الباحث أن يختار شريحة بعينها من العلماء والمفكرين المسلمين، بوصفهم الممثلين الحقيقيين للحياة الفكرية في العالم الإسلامي ما بين القرن ١٠-١٢هـ / ١٦-١٨م، ولكن لا بدّ من استعراض أبرز العلماء والإشارة إلى العلوم التي برعوا فيها، للخروج بمؤشرات أولية عن حجم الحركة الفكرية في هذه القرون موضوع الدراسة، وأبرز العلوم موضوع اهتمامهم.

تُعد الحركة العلمية في القرن العاشر وما تلاه امتداداً للحركة العلمية في القرون السابقة. وبصفة عامة لم تكن هذه القرون قرون ابتكار وتجديد في العلوم والفنون، والأصالة العلمية، والنظر والتدقيق، الذي يتسم بالاجتهاد والتدوين الجيد للعلوم. ويُعد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي قرن الجمع والترتيب والتسهيل والتلخيص لكتب المتقدمين، بالرغم من وجود أعلام كبار؛ ففي البلاد العربية قلب العالم الإسلامي النابض يبرز علماء مثل شمس الدين السخاوي (توفي ٩٠٢هـ)، والحافظ جلال الدين السيوطي (توفي ٩١١هـ)، ويتسم هذا القرن بازدهار علم الحديث وتراجم الرجال في مصر وبلاد الشام والعراق، وازدهار العلوم العقلية (المنطق والفلسفة) في إيران، وازدهار الفقه الحنفي في الهند وتركستان والدولة العثمانية. ففي مصر يمكننا الإشارة لأحمد بن حجر العسقلاني (ت ٩٢٣هـ)، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (توفي ٩٢٥هـ)، والشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن الصديقي الشافعي المصري (توفي ٩٩٣هـ) من مدرسي الأزهر الشريف الذي يعرف بالأستاذ الأعظم وقطب العارفين. وفي الحجاز العلامة ابن حجر المكي الهيتمي (توفي ٩٧٤هـ)، والعلامة علاء الدين

هذا القرن وما تلاه بمجهود واضح في نشر الإسلام في مناطق جديدة لم يصلها المسلمون فاتحين من قبل في شبه القارة الهندية، وآسيا الوسطى، والسودان الشرقي والأوسط والغربي.

وامتدت الزوايا والتكايا والخوانق والربط التي يقيم فيها المتصوفة مع امتداد رقعة دار الإسلام شرقاً وغرباً، ونهضت بدور مهم في تمتين الروابط الاجتماعية، والمحافظة على الحياة العلمية من خلال تربية المريدين، وحضور مجالس الذكر والسماع، وتعلم القرآن الكريم والحديث الشريف، والعلوم الحديثة واللغوية. وأسهمت الأوقاف المخصصة للإنفاق على الزوايا والتكايا في إدامة الحياة الاقتصادية لهذا النشاط الصوفي، وإدامة عمل المؤسسات التعليمية التابعة لها، واستيعاب الفقراء المحتاجين وعابري السبيل والطلبة والغرباء. وإضافة لما تقدم أسهم التصوف في ترسيخ الإسلام السني، ومحاربة البدع والخرافات، وتكملت جهودهم بالنجاح في نشر الإسلام من خلال الدعوة المبسطة للإسلام، بعيداً عن الخوض في المسائل الفكرية والفلسفية والكلامية، وتجنباً للغلو والتكفير والتفسيق.

ومع إطلالة القرن الثامن عشر، توقف الزحف العثماني باتجاه أوروبا بعد معاهدة كارلوفت مع النمسا عام ١٦٩٩م، وشهد عهد السلطان أحمد الثالث تحولات جديدة في الإمبراطورية العثمانية، بإنشاء أول مطبعة في إسطنبول سنة ١٧٢٩م، وظلت أنظار المسلمين في العالم الإسلامي تتجه صوب الإمبراطورية العثمانية بوصفها حامية الإسلام، وحامية الديار المقدسة، وحاملة عبء الخلافة الإسلامية، ورمزاً للمواجهة الإسلامية مع الغرب.

وفي قلب العالم الإسلامي (بلاد الشام والعراق ومصر) برز حكام إقطاعيون، استغلوا تراخي قبضة الدولة العثمانية على ولاياتهم، وأنشأوا حكومات مستقلة فعلياً، من أمثال علي بك الكبير ومحمد أبو الذهب في مصر، وأحمد باشا الخزار وآل العظم في سوريا، وظاهر العمر في فلسطين، والشهابيين في جبل لبنان، والأسرة الحليية في الموصل، وولادة بغداد والبصرة، والأسرة القرمنلية في طرابلس الغرب، والباشوات العثمانيين (الدايات والبايات) في الجزائر وتونس. وفي إيران

الثقيلة والعقلية. وأبرز علماء الهند على الإطلاق، الإمام عبد الأحد السرهندي (توفي ٩٧١هـ / ١٠٢٤م) الذي نهض بالإصلاح والتجديد، وترسيخ علوم الحديث والانتصار للإسلام وللقرآن والسنة، والتصدي للتشيع المتطرف، والتطرف الصوفي، وما أسفر عنه من نظريات متطرفة في مقدمتها نظرية وحدة الديانات، وما أشاعته من إلحاد وزندقة. وشهد فتنه الفلسفة والعلوم العقلية إلى جانب فتنه الإشراق والباطنية التي سعت للنيل من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسائله^(٨) ليستحق السرهندي بحق لقب مجدد الألف الثاني لما بذله من جهود في استعادة الهند إلى راية الإسلام السني، وحفظها من الارتداد في حضن البرهمية وفلسفة وحدة الأديان والمهدوية والنفطوية والدين الأكبري^(٩).

وأرعى التصوف سدوله على هذا القرن والقرون التالية، وانتشرت الحركات الصوفية وامتدت في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت أبرز مراكز التصوف في بخارى وسمرقند في تركستان (بلاد ما وراء النهر)، وبدخشان وهرة في أفغانستان الحالية، وطنطا والإسكندرية في مصر، وتعز وصنعاء في اليمن، وشحر وتريم في حضرموت، ودمشق في بلاد الشام، والأناضول في تركيا الحالية، وامتد التصوف إلى السودانين الشرقي والغربي، وبلدان المغرب العربي؛ إذ غدت أبرز مراكز العلماء والصوفية ومشايخ الطرق الصوفية في هذا القرن.

وبرزت أسرة باعلوي الحداد في حضرموت، والشيخ أبو بكر بن عبد الله بن أبي بكر الذي يعرف بقطب العالم، والشيخ محيي الدين عبد القادر العيديرسي (توفي ١٠٣٧هـ). وراجت الطريقتان القادرية والجلشيتية بفرعها النظامية والصابرية، وتسمنت الطريقتان الشطارية والعشقية مركز الصدارة في الهند من الطريقة الجلشيتية، وامتزجت في هاتين الطريقتين تعاليم اليوغا بالتعاليم الصوفية وفنون السحر والشعوذة، وفي بلاد الشام شاعت المولوية، وفي الدولة العثمانية البكطاشية، واليسوية في آسيا الوسطى وتركستان، وفي السودان الشرقي والمغرب الشاذلية والقادرية، وغيرها من الطرق الصوفية. وأسهم التصوف في

الأجنبي المباشر، الذي بدأه نابليون بونابرت بحملته على مصر والشام في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨م)، وما تلاه من بدايات التغلغل البريطاني، بوساطة سلسلة من معاهدات الحماية التي فرضت على شيوخ الجنوب والخليج العربيين لحماية طرق مستعمراته إلى الهند.

وخضع اليمن شكلياً للحكم العثماني، غير أن السلطة الفعلية كانت بيد الأئمة الزيدية، يتولون إدارة شؤونه الداخلية، وقامت أسر عسكرية حاكمة في كل من أقطار المغرب العربي في ظل الدولة العثمانية (البايات في تونس، والدايات في الجزائر) والأشراف العلويين والحسينيين في مراكش، وهذا ينسحب على السودانيين الشرقي والغربي. وخضعت الحجاز لحكم الأشراف، وآل سعود في نجد، وأتاحت حالة الجهل وانتشار الخرافات وانعدام الأمن، فرصة لظهور المصلح الديني محمد بن عبد الوهاب، وقُيِّض للحركة أن تنتشر سياسياً ودينياً عندما تبناها آل سعود، وتمكن الأمير عبد العزيز بن سعود (١١٦٣-١٢٢٩هـ) من السيطرة على الشطر الأكبر من الحجاز وجزيرة العرب عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م)، ثم عادت مجدداً لحضرة السلطان العثماني بجهود واليه على مصر محمد علي باشا.

وفي القرن الثامن عشر برز عدد من العلماء الكبار على امتداد العالم الإسلامي؛ ففي علم الحديث برز العلامة أبو الحسن السندي (توفي ١١٣٨هـ) الذي درّس في الحرم المكي الشريف، والشيخ إسماعيل العجلوني الشهير بالجرّاحي (توفي ١١٦٢هـ) الذي كان من محدثي الشام الكبار. وكان الحرّمان الشريفان من أكبر مراكز تدريس الحديث الشريف على يد الشيخين أبي طاهر الكوراني الكردي، والشيخ حسن العجمي. وبرز في اليمن عدد من المحدثين الكبار في مقدمتهم الشيخ سليمان بن يحيى الأهدل (توفي ١١٩٧هـ) الذي يعد من أجلّ المحدثين في عصره، والشيخ محمد بن أحمد السفاريني (توفي ١١٨٨هـ)، من كبار المحدثين، والأمير محمد بن إسماعيل الحسن الصنعاني (توفي ١١٤٢هـ) المحدث والمحقق. وفي مصر العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني (توفي بعد ١١٢٢هـ) الذي يعد خاتم المحدثين بالديار المصرية. وفي الشام الأستاذ والقطب الأكبر عبد

انتهى العهد الصفوي سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م وتولى من بعدهم الزنديون في شيراز. وتوسع الأفغان والروس على حسابها، إلى أن تمكن نادر شاه من طرد الروس والأفغانيين، وتوسع على أجزاء واسعة من أفغانستان والهند وآسيا الوسطى بين عامي ١٧٣٩-١٧٤٠م. وبموته دبت الفوضى مجدداً إلى أن استولى عليها الزنديون برئاسة حكيم خان زند (١١٦٤-١١٩٣هـ/ ١٧٥٠-١٧٧٩م)، واستمرت في الحكم حتى سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، ليحل محلها الأسرة القاجارية التي استمرت في الحكم حتى أواخر القرن الثامن عشر. وفي الهند كانت السلطة لا تزال بيد سلاطين المغول، على الرغم من التوسع الإيراني في عهد نادر شاه أفشار بقيادة أحمد شاه الداراني، فضلاً عن التدخل البريطاني وأوسط القرن الثاني عشر عن طريق شركة الهند الشرقية، الذي انتهى بتولي شركة الهند الشرقية البريطانية أمور الهند.

إن هذه السلطنات التي حكمت العالم الإسلامي خلال فترة الدراسة، هي وريثة تسعة قرون من التاريخ، تطور خلالها المفهوم الإسلامي للحكم، على أساس اقتران المفاهيم الإسلامية مع التقاليد العربية الموروثة، والإرث الساساني والبيزنطي، والاجتهادات الفقهية لمنظري الفقه السياسي في الإطارين السني والشيوعي. واستندت تجربة السلاطين العثمانيين، كما استندت تجربة غيرهم من سلاطين العالم الإسلامي المعاصرين لهم آنذاك، على حصر السلطة داخل أسرة بعينها، والسلطان يستمد حكمه من الشريعة الإسلامية التي تشكل المرجعية الأساس في الحكم، إلى جانب القواعد الوضعية أو العقلية والعرف (الياسا)، التي صاغها السلاطين انسجاماً مع إرثهم المحلي.^(١٠)

ومع وجود هذا التنوع في الكيانات السياسية التي حكمت دار الإسلام في هذا القرن، بقيت دار الإسلام محافظة على وحدتها؛ إذ إن تنوع الأسرات الحاكمة لم يكن مانعاً من أن تدين جميعها بعقيدة واحدة، هي عقيدة الإسلام، وقانون واحد هو الشريعة الإسلامية، ولغة واحدة سواء كانت العربية أو التركية أو الأوردية أو الفارسية، وحضارة واحدة هي مزيج من الحضارات العربية والفارسية والتركية والهندية، ولم يُبتلى العالم الإسلامي بعد بالتدخل

طهماسب (توفي ٩٨٤هـ) لمع نجم مير غياث الدين منصور (توفي ٩٤٨هـ) الحكيم والفيلسوف الإشراقي ومؤسس المدرسة المنصورية في شيراز، وانتشر تلاميذه في إيران والهند، ومن بينهم الأمير فتح الله الشيرازي (توفي ٩٩٧هـ) الذي نجح في صبغ المناهج والمقررات الدراسية وطرق التدريس بالطابع العقلي، وأدخل إليها مؤلفات صدر الدين الشيرازي ومير غياث الدين منصور. وبرزت شخصية المير باقر داماد (توفي ١٠٤١هـ) في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، الذي احتل مكان الصدارة في الأوساط العلمية في إيران والهند. وبرزت شخصية الملا صدر الدين الشيرازي (توفي ١٠٥٠هـ) الحكيم الإشراقي والفيلسوف.

وسيطرت العلوم العقلية والفلسفة على الأوساط التعليمية حتى نهاية القرن الثامن عشر، وظلت جهود العلماء اللاحقين تدور في فلك تلك المؤلفات بجل عباراتها وشرحها والتحشية عليها ومحاولات فهمها وإفهامها. وامتدت هذه الحركة إلى أفغانستان، وبرز فيها القاضي محمد إمام الهروي الكابلي (توفي ١٠٦١هـ) في الفلسفة، والقاضي محمد زاهد المعروف بمير زاهد (توفي ١١٠١هـ). وامتد التشيع إلى الهند على الرغم من انتشار المذهب السني الحنفي، وجهود الأباطرة من بينهم الإمبراطور أورانجيزب عالمكير في نشر التوحيد والقضاء على أكبر مراكز التشيع في جنوب القارة الهندية، وسعي سلفه الإمبراطور أكبر للقضاء على التأثيرات الشيعية الإيرانية المختلطة بالمجوسية. وأنتج فقهاء الهند في عهد عالمكير أكبر مآثرة في الفقه الحنفي وهي تدوين المسائل الفقهية، وترتب عليها ظهور مجموعة ضخمة منها باسم (الفتاوى العالمية)، التي أصبحت تعرف في مصر والشام والحجاز باسم الفتاوى الهندية.

وعلى الرغم من الضعف والتفكك السياسي الذي حلّ بالإمبراطورية المغولية في القرن الثامن عشر، إلا أنها شهدت نبوغاً علمياً بارزاً، نضج به عدد من العلماء الأفاضل، مثل الشيخ أحمد بن أبي سعيد الامتیهوي (توفي ١١٣٠هـ)، والشيخ حمد الله السنديلوي (توفي ١١٦٠هـ)، والشيخ رستم علي القنوجي (توفي ١١٧٨هـ)، والقاضي محيي الدين

الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ)، والعلامة إسماعيل حقي (توفي ١١٢٧هـ). وفي العراق الشيخ عبد الله بن حسين السويدي (توفي ١١٧٤هـ). وفي تركيا برز عدد من العلماء والمحققين الكبار، في مقدمتهم أبو السعود أفندي، وطاش كبري زاده وخليفة جلي.

واستمرت الجامعات الإسلامية العريقة في القيام بواجبها الحضاري بوصفها مراكز إشعاع علمي وفكري؛ الحرمان الشريفان في مكة والمدينة، والجامع الأزهر في مصر، وجامع القرويين في فاس، وجامع الزيتونة في تونس، والحرم القدسي في بيت المقدس، والجامع الأموي في دمشق، والنجف الأشرف في العراق، فضلاً عن كثير من المدارس المنتشرة في جميع رقع العالم الإسلامي، بصرف النظر عن انتماءاتها المذهبية. واستمرت الطرق الصوفية: النقشبندية والخلوتية والشاذلية والقادرية والرفاعية، التي انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي، بأداء دورها في تجديد الحياة الروحية، ونشر الإسلام إلى رقع جديدة لم يصلها سابقاً. وعلى الرغم مما يشاع عن هذه القرون، من تراجع النشاط العلمي، وشيوع ظاهرة المختصرات، وشرح المتن التي تتسم بالإيجاز، وما بني عليها من شروح وحواش على المدونات الفقهية التي دونت في العصور السابقة، إلا أن هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر، من خلال دراسة معمقة لإنتاج علماء هذه القرون، وتتبع الإضافات المهمة التي أضافوها في حقول المعرفة المختلفة. ولعل إعادة قراءةنتاجات عدد من الفقهاء، والنظر في فتاويهم من أمثال خير الدين الرملي (توفي ٩٥٧هـ) وابن حجر الهيتمي (توفي ٩٧٤هـ)، إلى جانب فتاوى فقهاء الهند الأحناف، التي أطلق عليها الفتاوى الهندية (العالمكية)^(١)، وفتاوى الونشريسي المسماة (المعيار المغرب في فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب)، قد تسهم في إعادة النظر في مفاهيمنا عن تلك القرون، وتسهم في فهم دروهم في الاجتهاد.

ومع تحول إيران للمذهب الشيعي في القرن العاشر الهجري، انفضت صلتها بعلوم الحديث والفقه، واتجهت إلى الحكمة والفلسفة وعلم الكلام، بسبب تعلق الشيعة بالفلسفة والاعتزال. وفي عهد الشاه

إلى ما دعا إليه الدهلوي من فتح باب الاجتهاد، والدعوة إلى التوحيد، ونيز البدع والخرافات، ومحاربة مظاهر الشرك التي شاعت في زمنه مثل زيارة القبور والتبرك بها، ومعتقدات الصوفية التي تسرب الشرك إلى كثير منها، وقدر لهذه الحركة أن تتطور وتتحول إلى فلسفة جديدة نشأت على أساسها دولة آل سعود في نجد. واستطاع آل سعود أن ينشروا هذه الحركة في مناطق واسعة في الجزيرة العربية، واستولوا على الحجاز، وتعرضت هيبة السلطان العثماني بوصفه حامي الحرمين الشريفين للخطر، لولا استعانتة بواليه على مصر محمد علي باشا، الذي استطاع الإجهاد على قاعدتها السياسية، وحصر تأثيرها لاحقاً في أنحاء الجزيرة العربية. وقد أحدثت هذه الحركة حالة من النهوض الفكري بما أثارته من حراك فكري على الساحة الإسلامية، بين المؤيدين والرافضين لها، وأسهمت بحال المناظرة والرد، والرسائل المؤيدة والمناهضة في إحداث حالة من الحراك الفكري على الساحة الإسلامية، كان العالم الإسلامي بأمس الحاجة إليها.

وفي جنوب الجزيرة العربية برز مصلح ديني بارز وهو الإمام محمد بن علي الشوكاني (توفي ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) الذي يعد من المجددين الكبار، فدعا بقوة لفتح باب الاجتهاد، وحمل حملة شعواء على منكره، وحث على التحرر من القيود الفكرية التي كبلت العقول بدعوى قفل باب الاجتهاد وإعلان وجوب التقليد، واهتم في كتابه البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع بالتصدي لما يشاع على خلو القرون المتأخرة من فضيلة السبق في العلوم دون خلفها. وكان الشوكاني مدركاً لما يدور حوله من أحداث، وعبر عن ألمه الشديد لما حصل في ديار الإسلام، وعدّ غزو مصر من دولة كثرية (الحملة الفرنسية على مصر) هو رزية عظيمة، وكان متعاطفاً مع القوات العثمانية ضد الحملة الفرنسية، ولم يجد بأساً في التحالف العثماني البريطاني ضد الفرنسيين.^(١٣)

وفي السودان الغربي برز المصلح والمجدد عثمان دان فودي (توفي ١٧٥٢هـ)، الذي لم يكتفِ بالدعوة إلى التجديد

البهاري (توفي ١١١٩هـ)، والشيخ محمد بن علي التهانوي (توفي ١١٥٨هـ). وسيطر منهج نظام الدين اللكوني (توفي ١١٦١هـ) الدراسي المعروف بالمنهج النظامي على الأوساط العلمية في الهند، وامتد إلى بخارى وسمرقند في آسيا الوسطى. وفي التصوف اشتهر الشيخ ميرزا مظهر جانان (توفي ١١٩٥هـ) من كبار المجددين في الطريقة الصوفية النقشبندية، والشيخ عبد الرزاق اليانوسي (توفي ١١٣٦هـ) مجدد الطريقة القادرية، والشيخ كليم الله الجهان أيادي (توفي ١١٤٠هـ) مجدد الطريقة الجشتية النظامية.

وشهد القرن الثامن عشر حالة من الانحطاط الخلقي والاجتماعي، وانتشرت الأوهام والخرافات، وعبادة القبور، وتقديس الأولياء وتعظيمهم بين أوساط العامة، وساد الجهل، وانتشرت الخرافات وشاعت التمايم والتعاويز والحجب، واللجوء إلى قبور الأولياء والأرواح لدفع المرض، وانتشر السحر والشعوذة، وسيطر الجهل والتواكل والبطالة والتعلق بأرباب السلطان. وانبرى عدد من رجال الإصلاح للتصدي لتلك الأوضاع الاجتماعية السيئة، والنهوض بمحاولات الإصلاح والتجديد الفكري في مجال العقيدة، ولم تقتصر بصماقم على القرن الثامن عشر، بل امتدت على الحركة الإصلاحية والتجديد في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في مقدمتهم العلامة الهندي شاه ولي الله الدهلوي (توفي ١١٧٦هـ)، الذي يعد أبرز علماء شبه القارة الهندية في القرن الثامن عشر؛ إذ دعا في مؤلفاته إلى إصلاح العقائد والدعوة إلى القرآن ونشر الحديث الشريف، وحض على فتح باب الاجتهاد، وعرض الشريعة الإسلامية بصورة متناسقة مدعمة بالأدلة والبراهين، والكشف عن أسرار الأحكام الشرعية ومقاصدها، ودعا إلى رفض الجمود الفقهي والتعصب المذهبي وإلى إصلاح التصوف، وإلى تربية العلماء الراسخين في العقيدة والعلم بالدين، للنهوض بدورهم في نشر العقيدة الصحيحة وتنقيتها من البدع والشوائب، وحث على إحياء نظام الخلافة، فأبان مكانتها وشرح خصائصها ومميزاتها.^(١٤)

وفي نجد؛ قلب الجزيرة العربية، برز المصلح والمجدد الديني محمد بن عبد الوهاب (توفي ١٧٠٣هـ)، الذي دعا

آراء جديدة أسهمت في تطور النظرية الشيعية الاثني عشرية اقتبسها البابيون والبهائيون في إيران في القرن التاسع عشر، وحرفوها عن مسارها الأصلي.

وفي هذا القرن لا بدّ من الإشارة إلى بروز مدرستين فكريتين في إيران أسهمتتا بدور مهم في الحراك الفكري في العالم الإسلامي الشيعي، أولهما: مدرسة الفلسفة الإشراقية التي تزعمها في أصفهان كل من ملا صدرا ومير داماد، ولا يزال تأثيرها في إيران إلى يومنا الحاضر، ويعد كتاب "الحكمة المتعالية" للملا صدرا من أكثر الكتب تأثيراً في تطور الفلسفة والفكر الفلسفي في إيران، ويعد الملا صدرا الوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية في القرون الأخيرة، ومن أبرز فلاسفة الإسلام بعد ابن سينا والسهورودي. والمدرسة الثانية: هي مدرسة الإخباريين والأصوليين، التي لا تزال تغذي الأفكار الشيعية إلى يومنا هذا. وهي تقف في صراع مع النزعة الاجتهادية. ونشأت هذه النزعة الإخبارية الحديثة كردة فعل على تطور الفكر العلمي عند الشيعة في مجال أصول الفقه؛ إذ تعارض المسلك العقلي الذي يسلكه أصحاب الاتجاه الاجتهادي، وتتمسك بطريقة الإخباريين القديمة، من خلال الاتكاء على الأخبار (النصوص) وجعلها مصدراً يقدم على جميع الأدلة الأخرى.

وفي مصر تربع العلامة السيد مرتضى الزبيدي الحنفي (توفي ١٢٠٥هـ) والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي؛ مؤرخ الحملة الفرنسية، على عرش الحياة الفكرية في هذا القرن؛ إذ تصدئ الزبيدي لإحياء الدين في زمنه وتنقيته مما لحقه من تشويه، فقام بشرح آراء الإمام حجة الإسلام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ) بمجدد المائة السادسة، فألف الزبيدي كتابه إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين. كما أدرك أهمية إحياء اللغة العربية بوصفها ركناً رئيساً في النهوض الإسلامي، وإحياء الثقافة العربية الإسلامية، فألف معجم تاج العروس من جواهر القاموس، فجاء التاج لإثراء القاموس المحيط للفيروز آبادي بالجديد من المواد اللغوية التي لم تكن في زمانه، والجديد من الأساليب والأفكار، ويلاحظ

والتنظير له وإصلاح المجتمع المسلم، وتنقية الإسلام مما لحق به من بدع وخرافات، بل لجأ عملياً إلى إقامة حكومة إسلامية مستلهماً نموذج الحكم النبوي والخلافة الراشدة في نظام الخلافة والوزارة والإمارة والولايات والقضاء وردّ المظالم، وفق اجتهاد فقهي متميز، وتأصيل شرعي. وأكد وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد ضد البدع، وفق نموذج ريادي تتداخل فيه التربية والأخلاق والسياسة والجهاد.

وفي العراق تبرز شخصية المؤرخ الشيخ عبد الله السويدي (١١٠٤-١١٧٤هـ / ١٦٩٢-١٧٦٠م)، وهو من بين أبرز علماء القرن الثامن عشر، وصنف في مجالات شتى تشمل التفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والشعر والتاريخ والرحلات، وله إسهامات فكرية متميزة، أبرزها دوره المؤثر في مؤتمر النجف، الذي دعا إليه نادر شاه في ٢٦ شوال سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م للحكم بين علماء السنة والشيعة في مسألة التقريب بين المذاهب، في محاولة من نادر شاه توحيد وجهات نظر الجماعات الشيعية والسنية في إمبراطوريته الواسعة، وكسب ود السلطنة العثمانية، وتكشف مناقشات الشيخ السويدي والحجج التي ساقها عن عمق تكوينه الفكري، من خلال عمق الحجج التي ساقها في الرد على خصومه.^(١٤)

ويبرز في إيران ثلاثة من العلماء الكبار أولهم: العلامة نعمة الله الجزائري المتوفى في مطلع القرن الثامن عشر، والذي رحل من الجزائر إلى إيران وشارك بفعالية في الحراك الفكري والعلمي هناك، وشارك العلامة المجلسي في تأليف موسوعة (بحار الأنوار)، التي جمع فيها خلاصة ما انتهت إليه علوم الشيعة في الإسلام. وثانيهما: الشاعر والمؤرخ الشيخ محمد علي حزين، الذي نشأ في إيران في أواخر العهد الصفوي، وصنّف كتاباً هاجم فيه نادر شاه أفشار، ونزعة التسلط، مما اضطره إلى الهرب وقضاء بقية سنوات حياته في الهند إلى أن (توفي ١٧٦٦م). وثالثهما: هو الشيخ أحمد الإحسائي الذي يعود في أصوله إلى الإحساء في الجزيرة العربية، وأسهمت مصنفاته في تطور الفكر الشيعي في الإسلام، وتوصل إلى

ونحن لا نزعم بأننا أحطنا بكل ما له علاقة بهذه القرون وتطوراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو أمر يصعب تحقيقه، وكما يقال (مالا يدرك كله لا يترك جُلَّهُ)، ولا يزال هناك كثير من الأعلام، والكتب، والحركات، والأفكار، والمؤسسات بحاجة للكتابة حولها، وحسبنا أننا أرسينا الأساس، وأضفنا لبنات أولية في قراءة هذه القرون، ونأمل أن نكون بعملنا هذا قد أنرنا الطريق لدراسات ومشاريع مستقبلية، تضيف وتصحح وتقوم وتغني ما قمنا به من جهد.

ولا يضعف الله أجر من أحسن عملاً.

أن الزبيدي لم يكن ناقلاً لمادة القاموس بل اجتهد كثيراً في تضمين المادة اللغوية خلاصة خيرات اللغوية وجهوده في البحث والدرس والجمع والمقارنة. والدراسة التحليلية للقاموس تكشف عن حجم الإضافات المهمة التي أضافها الزبيدي.

وأنجبت إسطنبول الحاضرة الأبرز بين حواضر العالم الإسلامي كله عدداً من النوابع في هذا القرن، من أبرزهم المؤرخ لطف الله المعروف بمنجم باشي؛ صاحب كتاب "جامع الدول"، الذي يعد آخر تاريخ مطول عام للبلاد الإسلامية، والذي لم يطلع عليه كثير من قراء العربية بعد، كما أثار العديد من الأفكار الإصلاحية في رسالته الشهيرة "أصول الحكم في نظام العالم"، التي تتضمن كثيراً من الرؤى النقدية والإصلاحية، في إطار السعي لإصلاح الدولة العثمانية للوقوف في وجه أعدائها الغربيين. كما يبرز العلامة إبراهيم متفرقة (١٦٧٢-١٧٤٥م) رجل الدولة العثمانية التنويري، الذي يعد من نوابغ الإصلاح في الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، ومن أتيح لهم الاطلاع على جوانب النهضة الأوروبية، ونزعة التقدم والتحديث التي بدأت تسود الغرب، في وقت كانت الدولة العثمانية تعاني فيه من حالة الانحطاط، والتخلف، والعزلة المسؤولة عن كثير من الهزائم التي لحقت بالدولة العثمانية أمام الجيوش الأوروبية. ويعد متفرقة واحداً من رجال الإصلاح الذي انتبه مبكراً لأهمية استلهام هذه النهضة، ويعود له فضل السبق في إدخال الطباعة في الدولة العثمانية، بتأسيس أول مطبعة في إسطنبول سنة ١٧٢٩م.

ولم تقتصر قراءتنا في هذا المشروع الرائد على دور العلماء والمصلحين والكتب التي أنجزت عبر هذه القرون، بل اتسع إطارها لتشمل قراءة الحركات الصوفية، والحركات الإصلاحية، إلى جانب قراءة تطور النظم والمؤسسات، كقراءة مؤسسة السلطنة والخلافة، وحركة التأليف، والأوقاف والأحباس، ثم قراءة بعض المفاهيم، مثل أهل الحل والعقد، وأهل الذمة، ومفهوم دار الحرب ودار الإسلام، وغيرها.

المراجع

- (١) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج ١، ص ٢-٣.
- (٢) قاسم، قاسم عبده. الرؤية الحضارية للتاريخ: قراءة في الزمن التاريخي العربي، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص ٣٩-٤٠. وانظر أيضاً:
- سعيدوني، ناصر الدين. نحو مقارنة جديدة لتاريخ العرب الحديث: مناقشة مفاهيم وعرض تصورات، ضمن: بحوث ودراسات مهداة لعلي محافظة، عمان: عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٧٧-١٨٠.
- (٣) الدوري، عبد العزيز. فترات التاريخ العربي: نظرة شاملة، ضمن: أبحاث ودراسات مهداة إلى مصطفى الحياوي، تحرير: صالح حمارنه، عمان: عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٤٤ وما بعدها.
- (٤) سعيدوني، نحو مقارنة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مرجع سابق، ص ١٧٠. انظر أيضاً:
- مصطفى، أحمد عبد الرحيم. في أصول التاريخ العثماني، بيروت: دار الشروق، ط ٢، ١٩٨٦م.
- اندوراء، هس. افتراق العالين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، ١٩٨٦م.
- يلماز، اوزتانا. تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان سليمان، استانبول: مؤسسة الفيصل، ١٩٨٦م.
- (٥) الدوري، فترات التاريخ العربي، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨. انظر أيضاً:
- الدوري، عبد العزيز. التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٦) سعيدوني، نحو مقارنة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مرجع سابق، ص ١٧٠.
- (٧) الجبرتي، عبد الرحمن. مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ج ٢، ص ٩١-٩٤. انظر أيضاً:
- شريف، محمد بديع، والمحاسني زكي، وعبد الكريم، أحمد عزت. دراسات تاريخية في النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ٣٢٠ وما بعدها.
- شاخت، يوسف، وبوزورث، ادموند (محرران). تراث الإسلام،
- ترجمة: محمد زهير السهموري، وإحسان صدقي العمدة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١، ١٩٧٨م، ج ١، ص ٥٣ وما بعدها.
- (٨) الندوي، أبو الحسن. رجال الفكر والدعوة في الإسلام: الإمام السهرندي، الكويت: دار القلم، ج ٣، المقدمة، ص ٥-١١.
- (٩) المرجع السابق، ص ٥٦-١٣٦.
- (١٠) جب، هاملتون، وهارولد، يون. المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ج ١، ص ٤١ وما بعدها. انظر أيضاً:
- بنجدة، عبد الرحيم. العثمانيون: المؤسسات، الاقتصاد، والثقافة، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٥٥ وما بعدها.
- (١١) سميت بهذا الاسم نسبة للسلطان محمد أورانجزيب، الملقب بعالم كبر (أي حاكم العالم) الذي حكم إمبراطورية الهند المغولية بين عامي (١٠٦٩-١١١٩هـ).
- (١٢) للمزيد حوله انظر:
- السيالكوتي، محمد بشير. الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، حياته ودعوته، بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٦٥-١٤٥.
- الندوي، أبو الحسن. رجال الفكر والدعوة الإسلام: الإمام الدهلوي، تعريب: سليمان الحسين الندوي، دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٢٣/٢٠٠٢م، ج ٢.
- (١٣) الشوكاني، البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع، مرجع سابق، ج ٢، ص ٩-١٥. انظر أيضاً:
- بني المرجه، موفق. صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت: مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص ٨٨-٩٣.
- (١٤) انظر حول هذه المناقشات مذكرات السويدي، (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية)، الذي أعاد نشره محب الدين الخطيب تحت عنوان مؤتمر النجف، ص ٩-١٢ وما يليها. للمزيد انظر: رؤوف، عماد عبد السلام. عبد الله السويدي، سيرته ورحلته، بغداد: (د.ن)، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٨٤-٨٩.